"ما هذا الكابوسُ الرهيب؟"

بقلم: الأخت أدما حبيبي

"متى ينتهي عذابي ومن يستطيع أن يغيّر حالي؟ آلام نفسي فاقت عن أن تُحتمل، وجسدي كله أصبح فريسة للأمراض والأوهام. إلى متى يارب سوف أعاني ؟ لم أعدْ أقوى على الصمود أمام ما يعتصر نفسي من حزن وهمٍّ وغم.. متى أخرج من بالوعة اليأس التي هَويتُ في أعماقها؟ أينَ المناصُ والخلاصُ من الخوف والقلق اللّذين يحيطان بي من كل جانب؟ إلى مَ سيؤول إليه حالي؟ أإلى الانتحار ياترى؟ آه يارب خلّصني...."

هذه كلمات شخص لا تظنُّه عندما تراه أنْ سَبق له وعانى في حياته . التقيته لأول مرة في الكنيسة، شاباً يافعاً رزيناً، عليه ملامحُ الحيوية والنشاط، ونظراته الهادئة تدلُّ على سلام القلب والنفس. أما اهتمامه الأكبر فهو أن يصل إلى الشباب الطالع لينقل إليهم رسالة تطمئن نفوسهم وتريح قلوبهم وتشفي خطاياهم. جاء إلى الكنيسة ملبياً الدعوة ولكي يتمِّمَ هدفاً واحداً وحيداً وهو أن يساعدَ الجيلَ الناشىء على دراسة الكتاب المقدس وكيفية السلوك الصحيح في وسطِ جيلٍ معوّج وضغوطٍ عديدة يعيشها الشباب في هذه الأيام الصعبة.

نعم، التقيته مؤخراً في الخلوة الروحية لكنيسة المجتمع العربي المسيحية في غلنديل، لوس أنجلوس. وبعد أن قدّم الشباب الناشىء تحت إشرافه بعض المشاهد القصيرة خلال السهرة ، **وقف فارس** والابتسامة تعلو وجهه وراح يشارك الإخوة المجتمعين باختبارٍ هام كان قد غيَّر حياته تغييراً جذرياً فقال: وُلدتُ في ولاية نيوجرسي لأبوين عربيين كانا قد هاجرا من الأردن. وكنت أول ولد في العائلة. وعندما كان عمري سنيتن انتقل والداي إلى أورنج كاونتي Orange County في لوس أنجلوس ، كاليفورنيا. وهناك كبرت وترعرعت وعشت حياة حافلة بكل النشاطات والعلاقات الاجتماعية والصداقات. وعندما صار عمري أربعة عشر عاماً اشترى والدي مزرعة لوز Ranch في واسكو Wasco تبعد نصف ساعة عن بيكرزفيلد Bakersfield, CA فانتقلتُ من جديد مع العائلة إلى هناك . وكنت بادئ ذي بدء متحمّساً جداً للعيش في هذه المزرعة. ورحت أحلم بركوب الأحصنة والتجوال على ظهرها بين التلال والوديان. كما دغدغني شعور جميل بأنني سوف أعيش حياة مليئة بالتحديات والمخاطر كما عاش Cowboysأي رعاة البقر في بعض الولايات الجنوبية. لكنّي سرعان ما اكتشفت أن الواقع هو على عكس ما عشته في أحلامي وخيالي.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

افتقدت أصدقائي ورفاقي وأقاربي، وأحسست بالوحدة تتسرب إليّ ، وبدأت أعيش صراعاً في داخلي لا يتوقف. وبعد أشهر تحوَّل الصراع إلى تمرّد داخلي على قرار والدي هذا ، إذ اقتلعني من جذوري كما يقتلعُ الواحد منا الشجرة التي غرسها بيديه ويقوم بزرعها في مكان آخر. وصار قلبي مليئاً بالحقد والكراهية للمكان الذي أنا فيه وللذين من حولي. و لم أبُحْ أو أُظهِرْ يوماً لأحد قط ما كان يساورني من مرارة ومشاعر سلبية سيطرت على حياتي، وبدأتْ تأكل فيّ من الداخل ودون أن أدري. وفي المدرسة لم أسمحْ لنفسي أن أبني صداقات جديدة وكنت منزوياً ومنطوياً على ذاتي إلى أبعد الحدود. أؤدي واجباتي المدرسية وأدرس دروسي كالعادة لكن من دون رفيق أو صاحب. وبدأت صحتي تتدهور. فكنت أتعرّض للدوار (الدوخة)، وأشعر بأعراض الرشح والتهابات الحلق تلاحقني بشكل دائم.

وفي أحد الأيام كنت أراقب برنامجاً على التلفزيون وكان الموضوع عن أعراض مرض الإيدز Aids أي مرض فقدان المناعة. فلفتَ نظري الموضوع ورحت أراقبه بكل اهتمام. وعندها وصلتُ إلى نتيجة قاطعة في فكري وهي أنني مصاب بهذا المرض الخطير نظراً لتطابق أعراضه مع أعراضي أنا . ولصغر سني (خمس عشرة سنة) لم أكن أعلم عندها أنَّ مرض الإيدز لا ينتقل إلى الإنسان إلا عن طريق العلاقات الجنسية. فعشتُ تحت وطأة هذا الوهم القاتل الذي راح يفتك بي ممَّا أدى إلى مزيد من الأمراض في جسمي وهذا ما جعلني أفقد قوتي وأعيش في وهَن وضعف دائم. وقررت في داخلي أن أذهب إلى العيادة وأُخضِعَ نفسي لفحص الدم لكي أعرف النتيجة. وكنت كلَّما ذهبت إلى العياد أعود أدراجي من كثرة الخوف والقلق اللذين سيطرا علي. وعشت هكذا في صراع عنيف في داخلي ودون أن يعلم أحد بحالي ولا حتى والداي. وزاد اليأس والقلق في نفسي وصرت أحس بدُوارٍ قوي فأخذتني والدتي إلى الطبيب وبعد عمل الفحوصات الكاملة تبَّين أنني لا أعاني من أي مرض عضوي. وقررتُ ترك البيت عسى أن يتغير حالي. وذهبت يومها ومن دون علم أهلي إلى أورنج كاونتي لزيارة جدتي التي أعلمَتْهم فيما بعد بوجودي. وعلى الرغم أنني عشت عندها مدة ستة أشهر إلا أن أعراضي لم تخفّ أو تنحسرْ.

قرر والدي بعدها بيع المزرعة التي لم تنجح ، والعودة إلى أورنج كاونتي. وبعد استقرارنا من جديد هناك لم تتغير أحوالي بل بقيتُ عائشاً فريسة للأوهام ولم أعد أستطيع الخروج من هذا الكابوس الرهيب. إلا أنني تجرأت يوماً وأجريت فحصاً لدمي فأتت النتيجة بالطبع سلبية. وفي أحد الليالي لم أستطع النوم فقمت من فراشي وذهبت إلى والدتي وصارحتها بكل ما يجري في داخلي وكنت أبكي بدموع وأقول لها بأنني أعيش صراعاً عنيفاً لا ينقطع. فنصحها الطبيب أن تعرضني على طبيب نفساني. وهناك، شخَّصت الطبيبة حالتي وصرَّحت لوالدتي ولي بأنني أعاني من مرض الاكتئاب Depression وأيضاً من الهلع والذعر غير الطبيعي Panic Disorder وقالت بأن الأعراض سوف تخف إذا أخذت بعض الأدوية المساعدة لهاتين الحالتين إلا أنني لن أُشفى. فصرتُ بحالةٍ أعوص من السابق.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

كانت عمتي ميسون أنذاك تحضر اجتماعاً في إحدى الكنائس العربية فدَعْت والديَّ للمجيء. فذهبت أنا أيضا معهما وهناك تعرَّفت على أحد الإخوة واسمه فوزي وكان يهتم بشؤون الجيل الناشيء . وبعد انتهاء الاجتماع دعا الشباب لكي يفتحوا قلوبهم له ويتكلموا عمَّا يفكروا به وقال بأنه مستعد أن يساعدهم. فذهبت إليه وكلَّمته مطوّلا عن حالتي . فصلَّى معي. وأثناء عودتي في السيارة استمعت إلى شريط ترانيم كان ينشد المرنم فيه ويقول **سوف أعيش للمسيح** . فقلت في نفسي أجل، هذا هو الحل، **أن أعيش للمسيح**. شعرت عندها بسلام بعض الشيء. لكن عند وصولي إلى البيت سألت نفسي وقلت: لكن هل أنا أعرف المسيح؟ من هو؟

ومرة أخرى، ذهبت لحضور اجتماعٍ في كنيسة أمريكية إذ كانت تُقام هناك نهضة. وأحسست عندها أن المتكلم يوجِّه الكلام لي أنا شخصياً. لا بل إنه كان يتكلم عني. ولمَّا وجه الدعوة لكل من يريد أن يأتي إلى الأمام ويطلب الرب من كل قلبه، ذهبت مع مجموعة من الشباب وركعت وصليت وطلبت الرب بحرارة وقلب مكسور، وكانت دموعي تنساب على وجهي بغزارة. ولمَّا انتصبتُ أحسستُ بسلام عجيب غريب في داخلي لم أشعر به قبلاً في حياتي. وعندها تذكرت آلامي وأوجاعي وأعراضي الغريبة التي كنت أعاني منها، وقلت في نفسي: يارب أنا مستعد أن أعيش لك كل حياتي حتى ولو لم تُردْ أنت أن تشفيني منها. **أما الله الآب السماوي ، فَبِلطفِه وحنانه أشفق عليَّ ومدَّ يده الطاهرة ولمس قلبي وعقلي وعواطفي، فصرت إنساناً جديداً قلباً وقالباً. وذهبت الأعراضُ التي عانيتُ منها لسنين عديدة إلى غير رجعة.** وعلمتُ بعد ذلك أن أخي الأصغر مني سناً، وهو مؤمن ومصلٍّ، كان يصلي من أجلي بدموع في ذلك الأسبوع بعد أن عرف بحالي. والآن أنا أكمل دراستي في الجامعة في مادة التاريخ، وأود يوماً أن أصبح **مرسَلاً إلى الأردن** عساني أُخبرُ عن فضائل نعمته الغنية عليَّ فأحمل رسالة الخلاص من الذنوب والخطايا إلى شعبي وأهلي هناك. **وللرب المجد لأنه هو وحده الذي خلصني من الموت البطيء الذي عشت فيه لسنوات. هو وحده الذي منحني خلاصاً أكيداً وشفاء عجيباً و نشلَني من هذا الكابوس الرهيب .**

فارس نشيوات – أورنج كاونتي

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service